

بمناسبة ذكرى المولد للأستاذ على الطنطاوى

احتفل العالم الاسلامى كله أول أمس - بذكرى مولد

- سيد العالم وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاحتفال يعد فرصة سانحة من فرص الدعوة إلى الاسلام ، والسعى في سبيل الإصلاح ، تفيدنا فائدة كبيرة إذا نحن عرفنا طريق الاستفادة منها ولم نجعلها قاصرة على إقامة السراقات الفخمة ، وإيقاد آلاف من المصابيح الكهربائية ، وإطلاق البارود في الجو ، والاجتماع على ترتيل قصة المولد والتطريب فيها ، وتلاوة الأغاني والأناشيد ، وأكل الحلويات والأنقال ، والتسلي واللهو والطرب ، وإضاعة الأموال بلا حساب

- وطريق الاستفادة منها ، أن يبحث الخاصة من رجال وأولياء الأمر ، في مجالسهم واحتفالاتهم أدواء المسلمين اليوم ، ويصوروها ويفتشوا عن أدويتها ، وأن يضعوا خططا جديدة للدعوة ، ومناهج للعمل المثمر ، وأن تشرح السيرة النبوية للعامة في مجامعهم واحتفالاتهم ، وينبهاوا إلى مواطن العبرة فيها ، لأن ذلك هو المراد من الاحتفال بالمولد ، لاسرد الأخبار الموضوعة . والعجائب والخرافات ، واللهو والطرب ، وأن تبين لهم مزايا الاسلام وفوائده ، وأصوله ومبادئه ، لأن الكثيرين من المسلمين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه ، ولا يفرقون بين طبيعة الاسلام وطبائع الأديان الأخرى ، ولا يعلمون أن الأديان كلها أديان فقط ، بمعنى أنها جاءت بعقائد وعبادات وأخلاق ، أما الاسلام فهو دين ، وهو تشريع ، وهو سياسة ، وهو أدب . وانظر في أى مسألة من مسائل الفكر الكبرى ، أو أى أمر من أمور الحياة ، تر للإسلام رأيا فيه وحكما ، فالتشريع الاسلامى أغزر أو من أغزر وأصنى المنابع التشريعية في العالم . والاسلام قد أقر الحرية الفكرية ، ووضع أصول البحث العلمي ، بما أمر به

وجوه ، والبيئات الأولى التي شب فيها كثير منهم مهمة غامضة ، وقد كان تقاد العرية قليلى العناية بأمر البيئة وأثرها في تكوين الأدب ، إنما كانوا يعرضون لبعض التواريخ الجافة المتعلقة بمولد الأديب ووفاته ورحلته إلى بعض العواصم واتصاله ببعض الحكام ، ويستحسنون بعض ما أنشأ أو يستهجنونه ، ويفضلونه أو يفضلون عليه ما قال أديب غيره في نفس الباب ؛ ولهم في ذلك بعض العذر ، إذ كانت للقول كما تقدم أوضاع وأنماط معروفة ، ياخذ الأديب بها نفسه ما استطاع ، ويحاكى المتقدمين فيها ما أمكنته براعته . أما بيئته الخاصة وتراثه الذهن والنفس ، فيذر جانبا وقلما يدخله في أدبه

ولا يرد ذكر البيئة وأثرها في كتب النقد العرى إلا عرضا ، كالذى ورد من أن ابن الرومى سئل لم لا يشبه كتشبهات ابن المعتز ، فقال لسائله : أنشدني شيئا من قوله الذى استعجزتني عن مثله ، فأنشده بعض أشعار ابن المعتز التي يشبه فيها النجوم والزهور بالفضة والعنبر ومداهن الغالية وهم جرا ، فصاح ابن الرومى : واغوثاه ! لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ذاك إنما يصف ما عاون يته ، وأنا أى شيء أصف ؟ ووضع الجاحظ رسائله سألقة الذكر على لسان أرباب المهن ، فأجرى القول فيها مجرى الدعابة والمغالاة ، وكان أولى لو عرض للأمر من ناحيته الجديدة . واستعرض بديع الزمان في بعض مقاماته عدداً من غول الشعراء المتقدمين ، فقال إن أحدهم أشعر الناس إذا غضب ، والآخر أشعرهم إذا رهب ، والثالث إذا شرب وهم جرا ، فلم ير إلا أن هذه جبلتهم التي فطروا عليها ، ولم يتخيل لبيئة كل منهم في ذلك أثراً

أما في الأدب الانجليزى ، ولا سيما في العصر الحديث ، فدرس أثر البيئة وعواملها من ورائة وتربية وثقافة وعقيدة ، أساس كل دراسة أدبية وكل نقد وترجمة ، والوسيلة الأولى لفهم الأديب وقدر آثاره حق قدرها ، وما ذاك إلا نتيجة ارتقاء العلوم والاجتماعيات في العصور الحديثة ، واستفادة الادب الانجليزى بمجهودات أدباء الأمم الأخرى ، كادباء الإبطالية الذين ارتقوا بعلم تاريخ الادب ، وأدباء الفرنسية الذين هذبوا أصول النقد ، وقد درس الأدب الانجليزى وترجم أدباؤه على ضوء هذه القواعد والأصول ، فبلغ من الوضوح والترتيب ما لم يبلغه تاريخ الادب العرى بعد

فهمى ابن الصعود

وما فوقها، فيها كل علم إلا علوم الدين. وليس الغرض من حذفها والمانع من اثباتها وجود طلاب غير مسلمين في هذه الامتحانات، فإن ذلك يمكن تلافيه. بأن يمتحن كل طالب في دينه، وتدعى كل أمة إلى كتابها، ولكن ذلك شيء تعمدته الأجانب يوم كانت سياسة البلاد وإدارتها ومناهجها في أيديهم وكان أمضى سلاح حاربونا به في ديننا وأبنائنا، فكيف نبقي عليه وقد انتقلت سياسة البلاد ومناهجها إلى أيدي وطنية يريد أصحابها الخير لبلادهم والصالح؟

ثم إن هؤلاء الطلاب إذا خرجوا من المدرسة، وبقي فريق منهم على شيء من الدين وأحبوا أن يطالعوا علوم الاسلام، لم يجدوا كتاباً سهلاً جامعاً بين دفتيه خلاصة ما يجب على الشاب المسلم أن يعرف من أصول الدين وفروعه، وإنما يجدون كتباً في علم الكلام مشحونة بالمجادلات الجوفاء. والرد على ملل قد بادت وتحل قد نسيت منذ مئات السنين، وعرض شبهها وضلالاتها؛ وكتباً في الأصول معقدة غامضة، لا يفهم الشاب شيئاً منها، وكتباً في الفقه مملوءة بالمناقشات اللفظية، والفروض البعيدة والاحتمالات الغريبة، لا تكاد تخلو من اختصار مغل أو تطويل ممل، وكتباً في التفسير مطولة ومختصرة فيها كل شيء من نحو وصرف ولغة وبلاغة وتاريخ وفلسفة وإسرائيليات ولكن ليس فيها تفسير واحد يرضى الشاب وينفعه ويحد فيه المراد من الآية ويعينه على التدبر الذي أمر الله به، وكتباً في الحديث مرتبة على غير حاجة العصر مبنية بحسب أبواب الفقه أو أسماء الرواة، ينصدع رأس الشاب ويفنى صبره قبل أن يصل إلى حديث واحد يفتش عنه ويطلبه، ورسائل في علم المصطلح غامضة فيها تعقيد، وقل مثل ذلك في سائر العلوم... وهذه الكتب مؤلفة على طريقة لا تخلو من غرابة وشذوذ، فالكتاب الواحد من شرح للتمن، ومختصر للشرح، وشرح للمختصر، وحاشية على شرح المتن، وتقرير على حاشية الشرح... ولست أفهم لماذا ارتقت أساليب الكتابة في كافة العلوم وأخذت شكلاً جديداً، ولماذا يؤلف اليوم الكتاب في الأدب على غير ما كان يؤلف عليه قبل خمسين سنة ولا تزال هذه الكتب على ما كانت عليه منذ مئات السنين لم تصل إليها موجة الحياة؟ ولماذا نجد في علماء كل فرع مؤلفين

من دراسة الكون، والنظر في ملكوت السموات والأرض، والاسلام قد وضع أسس السياسة العامة، والشرع الدولي، والاسلام وحده هو الذي يحل المشكلة الاجتماعية والاقتصادية الكبرى، وينقذ الإنسانية من استبداد الممولين، ووجود الفرديين، ومن خيالات الاشتراكيين، وبلاء الشيوعيين، بما جاء به من قواعد حكيمة عادلة للزكاة والمساواة ونظام الحكم. وللاسلام بعد ذلك كله حكمه في كل عمل من أعمال الإنسان، فلا يخلو عمل على الإطلاق من أن يكون له حكم في الدين وللدن دخل فيه، فيكون مباحاً أو مندوباً أو واجباً أو مكروهاً أو حراماً، ولا يستطيع المسلم أن ينسى الاسلام لحظة أو يمشی بدونه خطوة.

ثم إن هذه الأحكام كلها مساوقة للعقل — موافقة له — سائرة مع العلم. والاسلام يقدر العقل حق قدره، ويجعله المرجب الأول، ويربط المسؤولية والتكليف به، ويخاطبه دائماً ويعتمد عليه ولا يخالفه أبداً. ولم يستطع أحد إلى اليوم ولن يستطيع في الغد أن يجد قضية شرعية قطعية، تناقض قضية عقلية قطعية، فلا يثبت الشرع محالاً في العقل (١) ولا يحيل ثابتاً، ولا يخالف أصلاً من الأصول الثابتة في العلم. وأعني بالأصول الثابتة الحقائق والقوانين العلمية، لا الفروض والنظريات (٢) وأيسر نظرة يلقها العاقل البصير على كتب الدين، وأقل إلمامة بعلمه، تثبت هذا الذي ذكرنا.

فإذا كان هذا هو الاسلام، وهذه منزلته من العلم والمدنية فلماذا ينصرف عنه أكثر الشباب؟ إلهم منصرفون عنه لأنهم لا يعرفونه. ومن أين يعرفون وهم لا يدرسون منه في المدارس إلا شيئاً تافهاً لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً، ثم إنهم لا يجعلونه ولا يحلونه إلا دون الدروس كلها. وسبب ذلك أن الطلاب إنما يقرءون ويجدون ابتغاء النجاح في الامتحان والدين لا يدخل في امتحان رسمي أبداً، لافي الشام ولا مصر ولا العراق. وهذه مناهج الكفاءة وما دونها، والبيكالوريا

(١) كاستحالة كون الثلاثة واحداً (٢) كظنية لاهلاس في أصل الأرض ومدارون في أصل الانسان

من كتب الفقه ونظريات الفقهاء قانوناً مدنياً ينطبق على عصرنا الحاضر؛ ويكون تنمة العمل الكبير الذي بدأ يوضع (مجلة الأحكام الشرعية) وفي الفقه متسع لهذا العمل، وفي إنجازة إنفاذ البلاد الإسلامية من الحكم بغير ما أنزل الله، والتعرض لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد، فضلاً عما فيه من المس بالكرامة الوطنية، والسيادة القومية؟

ومن حاول أن يؤلف في بيان رأى الإسلام في الاشتراكية وموقفه منها، وحكمه في الديمقراطية وأساليب الحكم المعروفة؟ أليس اغتنام فرصة ذكرى المولد الشريف للبحث في هذا وشبهه جزءاً من هذه الحفلات التي لا معنى لها، والمظاهر التي لا طائل تحتها؟

وإني لأرجو من الله — لما أرى من انصراف مصر علمائها وأدائها وشبابها المثقف إلى الإسلام وإقبالها عليه — أن يكون يوم ذكرى المولد من هذا العام، فاتحة عهد جديد في تاريخ الإسلام، كما كان يوم المولد الشريف، فاتحة عهد جديد في تاريخ العالم.

(بغداد)

علي الطنطاوي

في أصول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريقة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب ، أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة وثمنه ١٣

مجددين ولا نكاد نجد في علماء الدين إلا مقلدين مرددين ؟ فإذا يصنع الشاب الذي لم يدرس الإسلام في مدرسة ولم يفهم كتبه ؟ أسأل المشايخ ؟ إنه إن فعل لم يجد أكثرهم إلا مجلدات تمشي ، ليس في ثيابهم وتحت عمامتهم إلا أوراق الكتاب ، فهم يسردون عليك ما حفظوا كأنهم يتناولونه من مستودعات أدمغتهم باليد ؛ ومن كان منهم ذا فكر جوال ، وعقل باحث كان في كثير من الأحيان ضعيفاً في مادته العلمية ، فهو يخالف الأولين والآخرين ، ويتنكب سبيل الدين . وقليل منهم من جمع إلى العلم ، سرعة الفهم ، وفهم روح العصر ، وحسن مخاطبة الناس . ثم أكثر هؤلاء المشايخ بعيدون عن الأدب ليس لهم في صناعة البيان يد ، قل أن ترى فيهم من يعد كاتباً مجيداً ، أو لساناً مفوهاً . على أننا بعد هذا كله نخشى أن ينقرض هؤلاء المشايخ ولا نجد لهم خلفاً ؛ وعلى أنني لا أحلمهم الذنب وحدهم ، فالذنب على المسلمين كلهم وليس في الإسلام (رجال دين) مسئولون عنه ، وقائمون به ، ووكلاء عليه ، ولكن رجال الدين عندنا هم كافة أهله وأتباعه ، لا فرق في ذلك بين شيخ الإسلام ، وآخر مسلم في أفريقيا الوسطى ، أو القطب الشمالي . ولو أن أكبر شيخ في حلقة ، أو خطيب على منبره ، أخطأ في حكم ، أو حرف آية ، لرد عليه من يحفظ الآية ، ويعرف الحكم ولو كان طفلاً صغيراً ، أو امرأة ... وما هذه المرأة بأقل من تلك العجوز ، ولا هذا الخطيب بأجل من عمر ؟

ثم إن الشبان المسلمين كلهم يذكرون الإعجاز ويعتقدون به ، ولكن من منهم يعرف أوجه الإعجاز على حقيقتها . وإذا أراد أن يفهمها في أي كتاب يجدها ؟ بل من منهم يفهم القرآن فهماً صحيحاً يتجاوز التفسير العادي ؟ بل كم من الناس يعرفون تفسيره العادي ، ولم منهم يسمعه ليعتبر ويتدبر ؟ ألا يسمع أكثر المسلمين القرآن ليطربوا بنغماته وأصوات تلاوته ؟

وكلنا يعتقد بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، ولكن أي دولة بل أي جمعية إسلامية حاولت أن تستخلص